

على السفود



وَلِلْسَفُودِ نَارٌ لَوْ تَلَقَّيْتُ بِجَاحِهَا حَدِيدًا ظَنُّ شَحْمًا
وَيَشْوِي الصَّخْرَ يَنْزِعُهُ رَمَادًا فَكَيْفَ وَقَدَرِ مَيْتُكَ فِيهِ لِحْمًا؟

« مفتاح نفسه » وقفل نفسه !!!



يسرنا أن يكون الأدباء والكتاب قد أخذ كل منهم يحاذر جهده أن يكون هو
المفغل الذي يشهد للعقاد بأنه أديب أو شاعر أو كاتب بعد أن مزقنا الاعلانات
الكبيرة الملونة التي كانت ملصقة على هذا الحائط !!! وبد أن أريناهم الحائط نفسه طيناً
وحجراً ، لا أصبغاً ولا ألواناً ، وما هو الا الحائط وما هو الا العقاد
ما من أديب الآن يجسر أن يظن في هذا العقاد — اذا أبعد في حسن الظن —

الا أنه كاتب جرائد يحسن صناعته ويستجمع آلاتها من الاطلاع المتنوع والترجمة ثم . . . ثم الصفاقة والمكابرة والكذب السياسي ، ثم الدجل العالي الصحافي!!!! وانتهى

اما العقاد الذي كان تحت الاعلانات . . . فيهايات هيات وقد كان أول نحسه طرده من جريدة البلاغ لان هذه الجريدة الكبيرة كانت بمنزلتها تصبغ شيبه ، وتخفى عيه ، وتجعله (نايه)

ومن العجيب ان رجالا من حكومة العراق كانوا من المخدوعين به أو فيه أو مه فأرادوا أخذه الى العراق مدرساً للآداب العربية وكادوا يجنونها على الأدب اغتراراً بتزويق الحائط ولكنهم تنبهوا أخيراً أن رأوا العقاد على السفود وتركوه لما به ولولا ذلك لما عرفوه إلا . . . إلا (بعد خراب البصرة) . . .

ما هو هذا العنصر الكيميائي العجيب الذي يحول كاتب جرائد في لحنه وعاميته وفساد ذوقه وسقم فهمه وضعف اطلاعه وتهافت ناحيته في النظم والنثر — الى مدرس للآداب العربية العالية في حكومة العراق ؟ أما إنه إن لم يكن عند هذه الحكومة حجر الفلاسفة لتجعل مثل العقاد مدرساً للآداب العربية بقوة الرجم الكيميائي — إن لم يكن عندها حجر السحر هذا فقد والله كادت تحرب البناء الذي تريد أن تقيمه بغلطتها في حجر الزاوية

(مفتاح نفسه) كلمة وضعها العقاد عنواناً لمقال نشره في المصور الصادر لذكرى المغفور له سعد باشا لان العقاد لا يزال ينفق من نفود أ كاذبيه على سعد فهي تسد ناحية من إفلاسه الى زمن طويل على ما نظن . جعل عنوان المقالة هكذا : الزعيم الفقيد مفتاح نفسه (١) . فأولا ما معنى (الفقيد) وقد مضت سنتان كاملتان على موت سعد ؟ وثانيا ما معنى (مفتاح نفسه) على قواعد التركيب العربي ؟

لا وجه للأولى الا الركاكة والحشو وطريقة الجرائد . ولا معنى للثانية الا اللصوية المتمكنة من نفس العقاد والغالبه على طبعه ، فيعجز حتى عن كتابة عنوان فيلجأ الى سرقة هذه الاستعارة الانجليزية ونصها عندهم The key of his soul يريدون أنك تفتح أغلاق الرجل من جهات نبوغه بدرسه من جهات اعماله وأخلاقه فكان

صواب الترجمة — ان كان لابد من السرقة حتى في عنوان ١١١١ — الزعيم نفسه مفتاح نفسه ، أو هو نفسه مفتاح نفسه . لابد أن يتقدم العبارة الانجليزية تؤكد أو يان لتستقيم عرية المعنى . فقل الآن في كاتب يسرق حتى العنوان ويعجز فيه أيضاً

قلنا مراراً ان هذا المغرور المتشاعر سقيم الفهم في العرية وهذه هي علة تعلقه بكلمة الجديد وزعمه انه يجدد كما هي علة أمثاله من الأدباء الملفقين في عريتهم وأوريتهم على السواء . وهي أيضاً السبب في تجنب العقاد أن يفسر شيئاً من الأدب العربي كما هي السبب في انحطاط شعره وكتابته . وقد رأينا له في مجلة الجديد (١) كلمة من تخليطاته عن ابن الرومي . كاد يفسر ، . . . فيها أبياتاً لهذا الشاعر فخطب خطب العمياء لا العشواء قال ستره الله بأسكاته :

هل ترى هذا الغائص الذي تعلم السباحة ليغوص لا ليسبح ؟! أو ترى هذا الخائف المراقب الذي يمر بالماء في الكوز من الجانب ؟ هو ابن الرومي حيث يقول عن نفسه : (أى في البحر)

وكيف ولو ألقيت فيه وصخرة لوأفيت منه القعر أول راسب
ولم أتعلم قط من ذى سباحة سوى الغوص والمضغوف غير مغالب
فأيسر إشفاقى من الماء اتى أمر به في الكوز من الجانب
انظر ايها القارىء . ابن الرومي يقول : لم أتعلم قط من ذى سباحة سوى الغوص فيكون معنى هذا أنه تعلم السباحة ، (وتعلمها) ، ليغوص لا ليسبح ، ؟ ان المعنى الذى يقصد اليه الشاعر هو هذا . أرى ذا السباحة يسبح ويغوص ولما كان الغوص أيسر العملين لانه لا يحتاج لتعلم الخط في الماء وشقه والنجاة منه ، فأنا قد تعلمت هذا وحده دون السباحة فلا ألقى مع صخرة في الماء حتى اسبقها الى قعر البحر .

هذا هو المعنى الشعرى فاما ان كان تعلم السباحة ، ولكنه لم يتقنها فكانما تعلمها ليغوص لا ليسبح ، فقد فسد بهذا الكلام الحس الشعرى الدقيق البديع ، وأصبح المعنى في سخافته وركاكته يشبه شعر العقاد لاشعر ابن الرومي

وقال ستر الله عليه . وهل ترى ذلك المفهوم الذى يسره الى الطعام حتى في الأحلام

و يأسف على أن يذادعته وهو في المنام ؟ هو ابن الرومي بعينه وهو القائل :

ولقد منعت من المرافق كلها حتى منعت مرافق الأحلام
من ذلك أنى ما أرانى طاعما فى النوم او متعرضا لطعام
الا رأيت من الشقاء كائننى أثنى وأكبح دونه بلجام

تأمل (قوى قوى) فى تفسير المغفل ثم فى شعر ابن الرومى وقل لى هل يصف
ابن الرومى « شراسته ونهمه وأسفه » أم هو يبالغ بهذا الاسلوب البديع فى ضعة
فقره وأنه لهذا الفقر محروم حتى بما هو غنى طبيعى للفقراء لان الفقير متى تعلقت
نفسه بشهوة لا يجدها جاءت هذه الشهوة فى أحلامه من عمل نفسه وكان لا بد أن
يمكنه وأن ينالها ، وذلك قانون طبيعى كما قرره العلم أخيراً فى أسباب الأحلام
وتأويلها بالشهوات الممتعة أو المنقمة . ويعبرون عنها (بالمكبوتة) وهو خطأ وتسمح
فان الرومى يصف شقاء جده وصفا دقيقا لا يحس به غي مثل العقاد وفضلا
عن أن سياق الشعر لا يؤتى المعنى الذى فهمه هذا الغي فان هذا المعنى لن يتأتى الا
اذا ثبت أن ابن الرومى كان طفيليا ، طفيليا بكل الاوصاف الماثورة عن هذه الطائفة
وهذا لم يقل به أحد الا طفيلى الأدب العقاد . ومن العجيب أن لهذه الآيات بقية
تكاد تنطق بأن ابن الرومى لا يريد شراة ولا طعاما ولكنه يقرر ابتلاءه بعثار الجذ
وأن ما يناله الناس بأهون سبيل وأيسر حركة من حررات العاطفة يحرمه هو ويتلى
فيه مع ذلك « بالغرم والاعرام » ، والعقاد مع هذا لا يفهم غرض الشاعر . ألا يرى
القراء أن هذه وحدها كافية فى الدلالة على بلادته وسقم فهمه كأن مادة نحه فى وعاء
جمجمته قد كتب عليها صيدلى القدرة . . . لا يفهم من الظاهر

وقال غطاء الله . . . أما سخره من غيره فله فى أفانينه الكثيرة ومعانيه الغريبة ما
يقوم بديوان كامل . وبراعته فيه طبقة لا تعلوها طبقة فى نوعها ويندر أن يدانيها
خول الساحرين فى المشرق والمغرب فله فى أحذب كان يضايقه ويترصده (كذا)
أمام داره ليتظير منه :

قصرت أخادعه وطال قذاله فكأنه متربص أن يصفعا

و كأنما صفعت قفاه مرة وأحس ثانية لها فتجمعا

تعالوا أيها القراء (وهاتوا معكم رجالا من العراق . . .) لنضحك من هذا

العامى المتشاعر الذى جعل ابن الرومى عاميا مثله ينجح الى لغة ضعيفة فى تأنيث (القفا) ويقول عن الأعم الشائع . ولو كان هذا الشعر على هذه الرواية لكان ضعيفا إذ قوله « صفعت قفاه مرة » يوم أن هذه (المرة) كانت فى زمن من قبل فيفسد الوصف ويضعف التركيب . ويجب حينئذ أن تكون العبارة : وكأنا مضعت قفاه صفقة وأحس ثانية لها النخ

وقوله « فكأنه متربص أن يصفعا » من العامة التى لا ينقلها إلا عامى مثل العقاد لان التربص يعقد الجرائد ... لا يكون الا فى الانتظار الطويل الذى لا بد فيه من مكث وتلبث وبهذه الكلمة يفسد الوصف ويرجع هراء ، فان من ينتظر أن يصفع غدا أو بعد ساعة لا يكون تلك حالة ولا يتجمع

ثم « وطال قذاله » ثالثة الأثافي . فان القذال جماع مؤخر الرأس ما تحت قصاص الشعر أى القفا . فهل الأحذب طويل القفا ؟ وهل اذا قصرت الأخادع وهى كناية عن قصر الرقبة يطول القفا ؟ أم ذاك الأحذب قد استعار قفا العقاد ... فانخفضت رقبته ومع ذلك طال قذاله معجزة لجبار الذهن (١) ... ما هذه البلادة فى هذا الرجل ؟ خلصينا يا حكومة العراق من عاره على الأدب المصرى وخذيه ولو مدرسا لتلاميذ الشهادة الابتدائية التى لا يحمل غيرها وغير شهادة الجميع له باللصوصية الادبية العليا !!!! ثم البيتان بعد هذا كله ليسا لابن الرومى بل هما مر ويان للامير مجير الدين بن تميم وتحرير الرواية هكذا :

قصرت اخادعه (وغاب) قذاله فكأنه (مترقب) أن يصفعا

(وكأنه) (قد ذاق أول صفقة) وأحس ثانية لها فتجمعا

هذه هى صفة الأحذب وهكذا يكون الشعر لذلك التخليط العامى الثقيل المتناقض الذى لا نعجب ان لا يتنبه له (أديب فالصو) مثل عقاد الجرائد هذا .

- ١ - يصف الشاعر هذا الأحذب فى صورته الجسمية برجل صفع على قفاه صفقة وأحس بيد صافه ترتفع لتهدى بالصفعة الثانية على قفاه فتجمع أى رفع كتفيه حتى التفتا برأسه لتخفى قذاله فتقع الصفعة على الظهر دون القفا فاذا تجمع ليخفى قذاله فكيف يقال فى هذه الحالة (طال قذاله) ولكن العقاد رجل بليد فى الادب العربية ويراوده البينتين على هذا الشكل دليل قاطع فى أنه ضعيف الفهم والتمييز وأنه لا يصلح لشيء فى الأدب العربى لانه لا هو مطلع ولا هو يفهم ولا هو يحقق وليس هو أكثر من لص عمله النقل بسرعة وهمة على أوتوموبيل أو على عربة كارو أو على حمار أو على ظهره هو ...

أرايت يا عقاد أنك لست هناك وأنتك تدعى الأدب العربى سفاها وأنتك فى
تميزك غبى غبى لا تساوى شيئا الا عند غبى غبى مثلك

والآن نقول اتنا تلقينا كتابا يتحدثانا صاحبه !!!!! أن نقصد قصيدة للعقاد سماها
(الخمر الالهية) . ويستدل صاحب الكتاب على فضل العقاد بشهادة (مين ومين
ومين) الخ الخ

نحن دائما لا نضرب الا ضربات قاضية ولا نعرف هذا النقد الخنفس الذى نراه
فى الجرائد مما ليس فيه الا الثثرة ولا تقدير له الا بقولهم أربعة أعمدة أو خمسة
أعمدة ومن أجل ذلك سررنا بهذا الكتاب الذى تلقيناه وسأنى بقصيدة العقاد
هذه بيتا بيتا ليرى بعينى رأسه وبكل أعين الناس انه (فالصو) من اوله الى آخره وأنه
لا يزيد عندنا عن حبة من القمح رأيت حجر الطاحون ساكتا هادئا متواضعا لجأمت
تظهر سفهها وطيشها وتتهمه بالبرودة والجود وتقول له انها من قمح استراليا
ثم . . . ثم دار الحجر

فى صفحة ٧٤ من بقطة الصباح ! ! ! الخمر الالهية . على طريقة ابن الفارض ،
ماهى طريقة ابن الفارض وهل يعرفها العقاد على حقيقتها أم هو يقلد فى هذا كما هو
شأنه دائما ؟ الخمر فى لغة السادة الصوفية « شراب المحبة الالهية الناشئة عن شهود آثار
الاسماء الجمالية للحضرة العلية فانها توجب السكر والغية بالكلية عن جميع الاعيان الكونية »
افكذلك عاين العقاد وشرب وانجذب ! أم نظم قصيدته الملتفة فى خمرة بار من
البارات التى يتسكع فيها ، ويخرج منها بمخازيبها ؟ سترى

ثم أن ابن الفارض ليس له فى الخمر غير قصيدة واحدة هى الميمية المشهورة ثم
آيات افتتح بها تائيته الكبرى . وما عداها فلم يذكرها الا فى ثلاثة أو أربعة آيات
كل بيت فى قصيدة وهذه آيات من الميمية يتطهر بها القارىء قبل أن يخوض فى رجس
العقاد ويتنشق أنفاس السماء قبل أن ياخذ غبار الأرض

قال سلطان الماشقين قدس الله سره

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بهامن قبل أن يخلق الكرم
ومن بين احشاء الدنان تصاعدت ولم يبق منها فى الحقيقة إلا اسم

وان خطرت يوما على خاطر امرى . أقامت به الأفراح وارتحل المم
ولو نظر التدمان ختم إنائها . لأسكرهم من دونها ذلك الختم
ولو نضحوا منها ثرى قبر ميت . لعادت اليه الروح وانتعش الجسم
ولو طرحوا في فيء حائط كرمها . عتيلا وقد أشفى لفارقه السقم
ولو خضبت من كاسها كف لأمس . لما ضل في ليل وفي يده النجم
يقولون لي صفها فانت بوصفها . خير ، أجل عندى بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ، ولطف ولا هوا . ونور ولا نار ، وروح ولا جسم

ويجب أن يرجع القارىء الى شرح الشيخ النابلسى لديوان ابن الفارض ليرى كيف
يفسرون معانى الخمر وأوصافها بما أدار الله تعالى على البابهم من المعرفة او من الشوق
والحبة ، وهو أمر يسهل وبين العقاد وامثاله ما بين الانسان والقرود
وقال صاحب مرحاضه ،

(عقود الدوالي أنت والخمر أشباه فله ما أسنى حلاك وأحلاه)

ان أراد ان تأثير العقائد يشبه تأثير الخمر على التوهم فهو من قول ابن الفارض :
ولو طرحوا في فيء حائط كرمها ، الخ وقد ورد في هذا المعنى شعر كثير . وان أراد
أن العقائد هي والخمر اشباه في الشكل أو المعنى فليس كذلك . والحقيقة انه سرق
هذا المعنى من (حديث القمر) ولم يحسن سبكه وهو هناك بهذا النص : يتخيلا
(أى الآمال) ابتسامات من السعادة كما يرى المدمن في عقائد الكرم سحابة من
الخمر . فانظر اين هذا الرصف من ذاك واين الدقة من الغموض « وان الذباب ليقع
على الزهر كما يقع النحل ليجنى العسل ، وانه ليطن في الروض كما تغرد الطيور لترقيص
قلوبها الصغيرة . ثم يطير عن الزهرة ذبابا كما وقع ، ويسكت ذبابا كما طن ، وكيفما نظرت
اليه لاتراه الا ذبابا . ولكنه من الطير ولكنهم من الشعراء » (١)

وهذا هو وصف العقاد بعينه في كل سرقاته . وقد طبع حديث القمر في سنة
١٩١٢ قبل أن تظهر (يقظة الصباح) .

وقول العقاد (ما أسنى حلاك وأحلاه) خطأ لان الحلى جمع حلية فيجب أن يعود

١- إشارة الى قول العقاد « مرحاضه أفقر أثوابا » وقد مر في السطور الثالث وقد كان العرب يلقبون
شعراءهم بكلمات قالوها فليكن لقب العقاد منذ الآن : صاحب مرحاضه

عليها الضمير مؤثماً فيقول واحلاها . وانظر اين معنى الحلاوة من معنى سنا الحلية الا أن يكون من قول نساء العامة لكل جميل (يا حلاوة)

(لآلى . قد نيطت بأسماط عسجد فصدر الدوالى مشرق النحريات)

انظر كيف يصنع الشاعر الحقيقى فى مثل هذا . قال ابن الرومى فى وصف العنب

لوانه - يبقى على الدهور قرط آذان الحسان الحور

وقال فى البلح : قشقةمت الاكف نخلت فيها لآلى . فى السلوك منظمت
فهو لا يجعلها لآلى حتى يوطىء لها تومطة وقوله صدر الدوالى مشرق النحر . كلام غير مستقيم لان العناقيد على صدر الدالية . فمن أين لصدرها نحر ؟ (١)

كأن حبوب الكرم بين سلوكها كؤوس من البلور قد صاغها الله

سرقه من ابن الرومى فى وصف العنب الرازق (الأيض الطويل)

ورازق مخطف الخصور كأنه مخازن البلور

يريد ابن الرومى الشبه فى خزن الضوء وهو معنى جميل دقيق فجعلها العقاد (كؤوساً)

وثرثر بقوله صاغها الله . ثم الحبوب لا تكون (بين) سلوك العناقيد بل السلوك هى التى تكون بين الحبوب لانها تحملها اى ليست من معامل الزجاج

(كأنى أرى بالعين ضمن قشوره سلافة جام سوف تجنى حمياه)

هذا تكرار للبيت الاول ثم قوله (أرى بالعين) كلام سخيف فيماذا يرى ؟

وضمن قشوره كلمة عامية حقيقة بان تكون لغة كناس من كناسى الطرق . . وسوف

(١) الثابت عندنا ان العقاد بليد سقيم الفهم وخاصة فى فهم الشعر العربى وهذا يدل

على انه غير ناضج لا يانا ولا شاعرية . ونظن انه سرق ما جعله للكرم نحر من قول ابن الرومى

بنت كرم تديرها ذات كرم موقد النحر مثمر الأعتاب

حصرم من زبرجد بين ينح من يواقيت جمرها غير خابى

وظن لسوء فهمه ان الشاعر يصف الكرم (شجر العنب) والحقيقة ان ابن الرومى

يريد بقوله (ذات كرم) الخ ان النحر تديرها امرأة غنجة كثيرة الحلى كأنها فى حلاها

شجرة كرم بعناقيدها فالحصرم فيها زبرجد والناضج يواقيت . وفى ديوان ابن الرومى

(بين نبع) وهو تحريف وقع فيه النساخ والطابع ايضا

تجنّي حمياه ، الطامة الكبرى ، فكيف يرى بالعين سلافة ، ثم يقول سوف تجنّي ،
وسوف للاجل البعيد . وهل يقال جنيت الخمر وحمياه حشوا لا موضع له البتة فكأنه
قال أرى بالعين سلافة كأمّ سوف تجنّي سلافة هذه الكأس . وانظر اى خلط هذا ؟
(ويسمى اليها الشاربون بمجلس يحف به عشب أثيث وأمواء)
اليها يعنى الى الخمر التي يراها بالعين سوف تجنّي . . . فالرجل في منام اذن ، وليس
يرى بالعين لانه مع ان هذه الخمر سوف تجنّي ، فقد رأى الشاربين يسعون اليها . . .
وصفة المجلس في شعر هذا الدعي الثقيل من أبرد ما جاء به شاعر عامى ساقط .
هل يهتم « بالعشب الأثيث والأمواء » ، الاحمار يحلم بالبرسيم ونحوه ، او من فيه روح
حمار ؟

(كليتنا والذهر وسان غافل وقد أيقظ العود الصفاء فلباه)
اذا كان الدهر وسان فهو غافل حتما ولا يبقى لهذه اللفظة معنى . وسان وأيقظ .
هذا هو بديع العقاد كأنه ما يحى به مبتدى . . . وأيقظ العود الصفاء ، هذه كلمة
من الشعر الذى كان قبل سبعين سنة حين كانت الفاظ الشعر واستعاراته مثل أيقظ
الصفاء ودعا الهناء ولى الأنس الخ ، وما دمنّا فى البديع فهل أيقظ يناسبها لى ؟ ام هذه
تناسب دعا ؟ هذه هى صناعة العقاد ليس فيها الا كلام عامى منظوم ، ومع ذلك لا
ينجّل ان يجعلها (الخمر الالهية) وتبلغه الوقاحة ان يقول انها على طريقه ابن الفارض .
أما وقد رأيت طرب مجلس العقاد ، انه كله فى أيقظ العود الصفاء فانظر كيف
يصنع الشاعر فى الابتكار لمعنى الطرب فى مثل هذا المجلس واقرأ قول مسلم بن الوليد
سلكنّا سيلا للصبي اجنية ضمنا لها ان نعصى اللوم والزجرا
بركب خفاف من زجاج كأنها ندى عذارى لم تخف من يد كسرا
علينا من التوقير والحلم عارض اذا نحن شئنا أمطر العزف والزمرا
ومسلم مع له ابو نواس هذا المعنى فى قوله

لا أرحل الراح إلا أن يكون لها حاد بمتخل الأشعار غريد
فجاء ابن الوليد بالرحل والركب والطريق وسماها على أبداع ما تتبكر القريحة
وهكذا يكون الشاعر فى توليده وابتكاره ان كان شاعرا . فأما ان كان عامياً ملففا

لصاً كالعقاد فهو يصنع كما رأيت العقاد يصنع سائخاً ومسخاً كأنه (عطا شجي
وابور) يقدم خرقة لامرأة حسناء تمسح بها عرق الخجل من وقاحته
وسوء أدبه

لا ينبغي ان يحى الشاعر بمعنى متداول
او مبتذل الا اذا وضع له تعليلاً أو
زاد فيه زيادة او جعل له سياقاً ومعرضاً
او نحو ذلك ليكون هو في معنى غيره، فكأنه
معناه هو . وأى شيء في « أيقظ العود والصفاء
فلباه » غير استعارة النوم للصفاء والايقاظ
للعود كأن العود خادم في (لو كاندت نوم) ...



انظر يا عقاد الجرائد كيف صنع جميل حين أراد أن يأتي بشيء جديد من معاني الشعر
في طرب العود ونحوه وتأثير هذه الآلات في مجلس الراح وهو يذكر نديمه عليها بعد
أن طرب وشرب قال

فلما مات من طرب وسكر رددت حياته بالمسمعات

فقام يجر عطفه خمارا وكان قريب عهد بالمئات

جعل العود (ينطق بأحسن من وقع القطر في البلد القفر) وجعل فيه حياة من
الموت الذي في الخرف كأن في مجلسه ما يحى ويميت. هكذا فاصنع ايها الحمار الذي لا يتلف
في مجلس الطرب الا على عشب أثيث وأمواء ، دون الريحان وأنواع الزهر واصناف
الطيب وبحال الروض ومعارضه المختلفة الخ الخ

(يدور بها الساق علينا كأنها مباسم ثغر والحباب ثناياه)

ان اراد بالمباسم جمع مبسم مصدرا أى الابتسام فلا معنى للتشبيه لان الخمر ذات
الحباب لا تكون بيضاء . فان اراد جمع مبسم أى مكان الابتسام يريد به الشفتين
الحراوين فكم مبسما للثغري ترى : ؟ لعلها مباسم زنجية من أسوان لها شفتان غليظتان
كشفرى البعير، ويكون تقدير العقاد ان هاتين الشفتين لو قسمتا شفاها رقيقة لكانتا
عشرين أو ثلاثين، ومن ثم يكون لهذا الثغر الواحد (مباسم) على هذا التأويل ...
وهذا البيت سرقة القعاد من شوقي في قصيدته المشهورة (حف كأنها الحبيب) من قوله

أو فم الحبيب جلا عن جمائه الشنب

ومع ان طبعي أنا لا يسىخ مثل هذه التشبيهات ويراهها كلها فساداً في الفروق ،
 غاني أرى في بيت شوقي دقة غفل عنها العقاد لانه جاهل بالعربية ليست له قريحة
 بيانية البتة . فليس في كتابته ولا شعره إلا الخط لبط ... شوقي يقيد الفم بانه فم
 الحبيب ، والعقاد أراد مطلق ثغر يعنى ولو ثغر شوها فوها ... ثم شوقي
 يذكر فم الحبيب والثنايا والريق وهذا كله حلو حلو جميل جميل ويضيف الى
 ذلك كله كلمة (جلا) وهى وحدها شعر فى ذكرها مع ثنايا الحبيب . والعقاد
 غفل مغفل ليس فى شعره الا ثغر نكرة - بدليل التثوين - وبثاياه كيفما كانت ولو
 كانت مصابة بالقلع و ... قبحه الله من شاعر سخيف ، كادت والله نفسى تثب
 الى حلقى ... وما معنى القىء من شعر هذا العقاد إلا انى تذكرت الآن هذين
 البيتين فى ثغر الحبيب ودره وعقيقه ولا أدرى لمن هما ، ولكنهما من شعر المتأخرين
 الجامدين فى رأى المجددين المغفلين

يا در ثغر الحبيب من نظمك ومن يختم العقيق قد ختمك
 أصبح من قد رآك مبتسماً يميل شكراً فكيف من لثمك ؟

تحتاج يا عقاد أن تخلق مرة أخرى من أب آخر لتستطيع أن تقول مثل هذا .
 ونعود الى تشبيه الجباب بثنايا (الحبيب) الحبيب خاصة - فأصله أنهم شبهوا الجباب
 باللؤلؤ وهذا جيد مستقيم على طريقة الوصف ومنه قول النواس : حصباء در على
 أرض من الذهب ، وكثير غيره

ثم لما كانت أسنان الحبيب تشبه باللؤلؤ جعلوها كالأصل ونقلوا التشبيه اليها توليدا
 اتساعا فى فنون البيان ومن ذلك قول البحتري يصف الخمر :

وفى القهوة أشكال من الساقى وألوان

جباب مثل ما يضحك عنه وهو جذلان

وسكر مثل ما أسكر بطرف منه ولسان

ثم تنبهوا من ذلك الى مراعاة النظير والمقابلة فجمعوا فى التشبيه كقول ابن وكيع :

حملت كفه الى شفثيه كأسه والظلام مرخى الازار

فالتقى لؤلؤ الجباب وثرعر وعقيقان من فم وعقار

وابدع ابن النيه وجاء بالمعنى سائغا عذبا في قوله :

فانهض الى ذوب يا قوت لها حبيب تنوب عن ثغر من تهوى جواهره
ومن هنا أخذ شوقي فجعم في التشبيه كما رأيت ، وعلى شوقي تطفل العقاد ،
والتفنن في وصف الحبيب كثير ولكننا أردنا بما ذكرناه تاريخ المعنى الذي (هببه)
هذا العقاد

(جرت في صفاء الدمع وهي دواءه فمن ذاقها لم تجر بالدمع عيناه)
سرقه من قول ابن المعتز مع غفلة من أقبح غفلات العقاد . يقول ابن المعتز
ورواه الثعالبي لأبي نواس :

وليس للهم الا شرب صافية كأنها دمة من عين مهجور
فقيد الدمع بأنه من عين مهجور ، وصاحب مر حاضه ، أطلق فجعلها ككل دمع
وان كان دمع مصاب بالرمد الصديدي قبح الله هذا الاحق لا يزال شعره
كالملح الانجليزي أوزيت الخروع . ثم انظر واعجب من غباوة العقاد فقد فهم
من بيت ابن المعتز أنه يشبه الخمر في صفائها بالدمع فسرق على هذا الفهم وهذا تشبيهه
صبيان لا تشبيه مثل ابن المعتز وانما أراد هذا أنها صافية حمراء كدمة المهجور حين
يبكى دماً لا حين يبكي دمعاً . أفهمت يا عقاد . ألا تقر أنك في حاجة الى أن تكون
تليذاً لا ديب ، ثم بعد ذلك عسى أن تكون أدبياً في يوم ما . . ؟

وتأمل ما يشعر بك قول ابن المعتز (كأنها دمة من عين مهجور) وما يثير في نفسك من رقة
العاطفة وتحزنها واحتياجها الخ وهذا كله خلاصته بيت العقاد فجاء قسراً لا لب فيه
وزعمه أنها دواء الدمع مضحك لان ابن المعتز جعلها دواء الهم وليس كل هم يجي .
بالدمع الا ان كان هم امرأة تبكي لكل شيء وليس كذلك الرجل . وما دامت الخمر
دواء الدمع ، فينبغي أن يكون من أسمائها عند المجددين (ششم وقطرة)
ومحلول بوريك وسلياني . ألا لعن الله هذا التجديد وأهله ان كانوا من هذا الطراز
انظر كيف يكون الشعر في وصف الخمر على أنها دواء الدمع في قول السري أو
السلامي لا أدري :

بتنا نكفكف بالكسات أدمعنا كأننا في حجور الروض أيتام

هكذا والافاسكت ويحك

(تير فلولا ان يسيل رحيقها تملت لظى اذكى النسيم شظاياها)
 يريد فلولا ان سال رحيقها فاستعمل (يسيل) بصيغة المضارع خطأ لانه لا يفهم
 منه بهذا التركيب الا انه لا يقول إنها لظى خشية أن يسيل رحيقها . والمعنى مسروق
 من قول مسلم بن الوليد

وكانها والماء يطلب حلها لهب تلاطمه الصبا في مقبس

الصبا نسيم الصبا فقال العقاد لولا أنها ماء لقلت أنها لهب ولم يحسن أن يقول
 مثل هذه العبارة البديعة (تلاطمه الصبا) فقال أذكى النسيم شظاياها ... الاذكاء
 معناه الزيادة تقول أذكى النار أى زدتها وقودا فكيف يكون الاذكاء لشظايا النار
 أى الشعل المتطايرة منها دون النار نفسها ؟ هذا فهم مقلوب والظاهر أن مغفلنا الكبير
 فهم من معنى أذكى ضرب وفرق ونحوهما

تأمل بيت مسلم وانظر الدقة العجيبة فى جعله الماء يطلب حلها حين يمتزج بها
 وهى فى نفسها لهب يتلاطم مع نسيم الصبا ثم قابل هذه الصياغة بصياغة مغفلنا
 (يكاد اذا طاف الغلام بحامها يرفرف حولها الفراش ويغشاه)

جعل مجلس الراح فى غيط قطن عند (العشب الاثيث) حيث يوجد الفراش
 المنسلخ من دودة القطن . وهذا البيت يذكّر بالذباب وتهافتة على كأس الشراب
 لان الفراش والذباب سواء غير أن الاول يتهافت على الضوء (١) والمعنى بعد مسلوخ
 من قول مسلم :

(١) لا تنسى أن الفراش لا يتهافت على الضوء الا ليلا وقصيدة العقاد ليس فيها
 ما يدل على أن مجلسه كان ليلا ولا بسحرة فهذه احدى غفلاته . ثم إن الشعراء قد
 أثيروا فى تشبيه الراح بالنار حتى بالنار التى تشب ليسرى الضالون فى الليل على ضوءها
 فيبتدوا بها الى القرى والضيافة والعمران . كما شبهوها بالمصاييح واللب وشعرهم
 كثير فى هذه المعانى وكلهم كانوا يعلمون طبيعة الفراش ومع ذلك لم يذكروا أحد منهم
 هذا المعنى فيما وقفنا عليه لان لهم ذوقا وبصرا وليس يغيب عنهم أن الكأس التى
 يرفرف حولها الفراش ويغشاه ، هى أخت الكأس التى يقع فيها الذباب لان

كان نارا بها محرسة نها بها تارة ونفشاها
 شبهها بالنار المحركة التي زادت وقودا فيرتد عنها المصطلى تارة ويدنومنها تارة،
 فخطر للعقاد أنه لو كان الناس فراشا لكان المعنى أحسن فسخم فراشا .
 ولكن انظر كيف يقول الشاعر الحقيقي في مثل معنى العقاد حين يصنع الصنعة
 البارة التي لا تذكر النفس الا بالصور العالية الشريفة فيقول في وجه مدوحه
 ذو غرة كجبين الشمس لو برقت في صفحة الليل للحرباء لانتصبا (١)
 ويقول « صاحب مرحاضه » ...

(لها في يمين الشارين توهج اذا ما خبا قلب من الحزن اذ كاه)
 لماذا جعلها في اليمين خاصة مع أن أهلها يتناولون باليمين واليسار؟ ثم هذا المعنى
 كثير ولكن الشعر كل الشعر في تعليله وكيفية وضعه وبيت العقاد من قول
 مسلم بن الوليد

تلتهب الكف من تلمبها وتحسر العين ان تقصاها
 قال الكف ولم يقل (اليمين) ثم هي ملامت نارا أو شعاعا محرقا فيكون أثر
 توهجها في الكف لافي القلب . ولكن لعل العقاد سرق فيما يسرق ساكنا منه من
 يمين حاملها الى قلبه فانتقلت الحرارة عليه . . . ومسلم يزيد في بيته ان العين تحسر
 عن تقصيصها كما تحسر عن الشعاع في شمس . وانظر كيف يتظرف الشاعر في ذكر توهج
 الراح وتلمبها على يد الساق الجليل اذ يقول :

لا تترك القدح الملائن في يده إني أخاف عليه من تلمبه
 وقول العقاد (إذا ما خبا قلب من الحزن اذ كاه) من أبرد الكلام وأسخفه

الفراش لا يرتد عن الضوء دون أن يخالطه ويقع فيه . وذكر الفراش على الكأس في
 مجلس الشراب لا يكون الا من عامى سوقى بارد الطبع ساقط الحرمة . فأنت ترى أنه
 ان كان العقاد هو الذي جاء بهذا المعنى فكلام الشعراء جميعا دليل على فساد ذوقه
 وعامية طبعه وان كان سرقة بنصه فهذه أدهى وأمر لانها لصورية وفساد ذوق
 (١) الحرباء دائما يطلب الشمس ويتقلب معها وهو يطلب معاشه بالليل فاذا
 طلعت الشمس اشتغل بها

لان أذكاه معناه أضرمه وهيجته وما الحزن الا تسعير القلب ونعوذ بالله . وقد قال ابو فراس

اذا ما برد القلب فما تسخنه النار

ويقول صاحب مرحاضه . . .

(تلوح كما المهل أما مذاقها فن سلسيل الخلد في طيب سقياه)

قال في الشرح ماء المهل شراب أهل جهنم . . . فتأمل هذا الذوق ونعوذ بالله ثم نعوذ بالله .

وهذا المغفل قد نسي من أول بيت في قصيدته انها الخمر الالهية ، وأنه يقول على طريقة ابن الفارض ، فذهب يسرق في كل بيت عن لم يقولوا على هذه الطريقة ولا حرفا واحدا كما رأيت . وهل الخمر الالهية و تلوح كشراب أهل جهنم ، ؟ أخزاك الله (يا صاحب مرحاضه) وجعل المهل شرابك ، كما جعلت المرحاض ثيابك

وقوله (مذاقها) ثم قوله (في طيب سقياه) من الكلام الذي لا يلتزم لان المذاق في اللسان وحده فالصواب مذاقها في طيب طعمه ، وبين الطعم والسقيا من البعد ما بين العقاد والشعر . هذا نصف القصيدة ، وكل ما مر بك في اثني عشر بيتا فقط من شعر (صاحب مرحاضه) فكيف يرى الناس الآن قيمة (صاحب مرحاضه) ؟ ؟



أطلب من دار العصور للطبع والنشر

بشارع الخليج المصرى : بالظاهر بمصر

الاستشارة الكمية

أقوم بمبحث في حقيقة الاشتراكية ومناقشة مبادئها